



## حول التجربة التشكيلية للفنان المغربي عبد الغني أوبلحاج : الماء كتيمة جمالية!



الفنان عبد الغني أوبلحاج مع إحدى لوحاته



### «أنا لا أدعو إلى التراثية، ولكني أتعامل مع التراث كما أتعامل مع كل شكل ولون يفرض نفسه على العين المغربية»

والأساس الكون الغذاء والحياة، بات يشكل تيمة جمالية محورية في إبداع الفنان أوبلحاج.. هو الحضور/الغياب.. مرحلة الولادة والنشوء.. فالنضج.. شخص وأشياء متحركة تدعو الناظر إلى إعادة تشكيلها وتحريكها بنظرات جديدة متحولة.. وخالية من كل التعليلات..

بهذا المعنى، يمكن القول بأن الإبداعات الصباغية للفنان أوبلحاج تبدو ناطقة بالوان وأصوات موسيقية أكثر تعبيرية تبرز في شكل تلافيف وانحناءات لونية وادعة ترغم الناظر إليها (بأن العين) على مقاومة كسل النظرات.. بل تضعه أمام مسؤولية التذرة والتلقي بمعناها الحدائي الواسع.. وإتماماً لذلك، تظل التعبيرية اللونية الصفة السائدة في هذه الإبداعات، بحيث نجد أن لكل لوحة ألوانها الجينية الخاصة.. ولكل لمسة درجات ضوئية نورانية تحدد إطارها الطيفي والزمني.. إنها تعبيرية صباغية تمنح القوة للون لكي يقرر مصير اللوحات، ويرسم أهم المعالم المحددة لهويتها التشكيلية.. اللوحات وفق هذه العلاقة، فضاءات بصرية تبرز من داخلها مساحات لونية متباينة وإشارات خفية متحركة داخل مساحة الموضوع..

ب - التعبير بالوان الماء.. أما في الوقت الراهن، فإن القطع الصباغية التي ينفذها الفنان عبد الغني أوبلحاج تبرز عن تمكته من تقنية لونية جديدة والتي تظهر الألوان في ضوئها متناغمة داخل تكاوين مونوكونية ديناميكية تكثر فيها الدرجات الضوئية لون الواحد وتعبير عن مستوى عال من الشفوف والغوامق من الألوان المتقاربة..

في عمق هذه التكاوين الطيفية، تبرز بعض الأفراد الجرافيكية المتغايرة على إيقاع الكتل والمساحات التي يجسد تشكيلها الحس الفني الرفيع الذي يتميز به الفنان أوبلحاج في تعامله مع السند - القماش. الورق المقوى - والمواد التلوينية التي يختارها ويستعملها..

على المستوى التيمات، ترسم هذه القطع ولع الفنان وافتقانه بالطبيعة خصوصاً المكون المائي بشفافيته وتعدد ألوانه (أو انعدامها) ورائحته وسمو حركاته.. الماء - وتصغيره مويه - الذي يعتبر مادة نبيلة

والأساس الكون الغذاء والحياة، بات يشكل تيمة جمالية محورية في إبداع الفنان أوبلحاج.. هو الحضور/الغياب.. مرحلة الولادة والنشوء.. فالنضج.. شخص وأشياء متحركة تدعو الناظر إلى إعادة تشكيلها وتحريكها بنظرات جديدة متحولة.. وخالية من كل التعليلات.. بهذا المعنى، يمكن القول بأن الإبداعات الصباغية للفنان أوبلحاج تبدو ناطقة بالوان وأصوات موسيقية أكثر تعبيرية تبرز في شكل تلافيف وانحناءات لونية وادعة ترغم الناظر إليها (بأن العين) على مقاومة كسل النظرات.. بل تضعه أمام مسؤولية التذرة والتلقي بمعناها الحدائي الواسع.. وإتماماً لذلك، تظل التعبيرية اللونية الصفة السائدة في هذه الإبداعات، بحيث نجد أن لكل لوحة ألوانها الجينية الخاصة.. ولكل لمسة درجات ضوئية نورانية تحدد إطارها الطيفي والزمني.. إنها تعبيرية صباغية تمنح القوة للون لكي يقرر مصير اللوحات، ويرسم أهم المعالم المحددة لهويتها التشكيلية.. اللوحات وفق هذه العلاقة، فضاءات بصرية تبرز من داخلها مساحات لونية متباينة وإشارات خفية متحركة داخل مساحة الموضوع..

ب - التعبير بالوان الماء.. أما في الوقت الراهن، فإن القطع الصباغية التي ينفذها الفنان عبد الغني أوبلحاج تبرز عن تمكته من تقنية لونية جديدة والتي تظهر الألوان في ضوئها متناغمة داخل تكاوين مونوكونية ديناميكية تكثر فيها الدرجات الضوئية لون الواحد وتعبير عن مستوى عال من الشفوف والغوامق من الألوان المتقاربة..

في عمق هذه التكاوين الطيفية، تبرز بعض الأفراد الجرافيكية المتغايرة على إيقاع الكتل والمساحات التي يجسد تشكيلها الحس الفني الرفيع الذي يتميز به الفنان أوبلحاج في تعامله مع السند - القماش. الورق المقوى - والمواد التلوينية التي يختارها ويستعملها..

على المستوى التيمات، ترسم هذه القطع ولع الفنان وافتقانه بالطبيعة خصوصاً المكون المائي بشفافيته وتعدد ألوانه (أو انعدامها) ورائحته وسمو حركاته.. الماء - وتصغيره مويه - الذي يعتبر مادة نبيلة

الفنان أوبلحاج على التراث الإسلامي ببعض مكوناته الجمالية حيث تجسد هذا الاهتمام بصورة حدائية دينامية في أعماله الصباغية التي جاءت مكسوة بالوان دسمة وكثيفة بفعل لمسات لونية مكثزة ووثقة تولدها السائدات والتقنيات المستعملة بمجلة فنون المغربية / 1976.

عقب ذلك، أنجز الفنان أوبلحاج العديد من اللوحات ذات المنحى الواقعي التعبيري وقد عرضها سنة 1979 ب Café-thCêtre مهدت لظهور لوحات أخرى جسدت اهتمامه بفنون الطباعة والآثار الجرافيكية التي تولدها السائدات والتقنيات المستعملة فيها. وقد عرضت هذه الأعمال في الثمانينات بالرباط وبعد ذلك بالدار البيضاء/قاعة نظر. من ثم، وخلال نهاية هذه الفترة، أخذ الاهتمام الجمالي للفنان أوبلحاج ينزح نحو فنون التوريق والعريسة التي تميز بها الفن الإسلامي والتي كان الفنان يتعامل معها تعاملاً تشكيلياً (وليس تزيينياً) يضع في المقام الأول مفهوم الضوء كمفردة بصرية تنظوي على أبعاد رمزية متعددة. لذلك، ظل الفنان أوبلحاج يعمل في هذه التجربة على خلق التناقضات الممكنة بين الإيحاء الرمزي والجانب المرئي لفنون الأرابيسك (تكسیر الأشكال، تنويع المساحات، اعتماد البياض داخل البياض..)، وكذلك إبراز التضادات الكونتراست وتناغميات الألوان وبخاصة المجموعة اللونية الرمادية..

فألوحات التي تؤرخ لهذه التجربة (وقد جاد بها المعرض الفردي المنظم سابقاً برواق الوسطي بالدار البيضاء)، تميزت باشتغال

#### ابراهيم الحيسن \*

«أنا لا أدعو إلى التراثية، ولكني أتعامل مع

التراث كما أتعامل مع كل شكل ولون يفرض نفسه على العين المغربية». وفق هذه الرؤية الإبداعية المتميزة، يشتغل الفنان التشكيلي عبد الغني أوبلحاج - المولود عام 1950 بمراسن - مقدماً بذلك أصدق طريقة لإدخال مفهوم التراث في التعبير الفني والجمالي، ما دام التعامل مع الجمهور يقتضي مخاطبته بأسلوب يمسسه ويستجيب لحاجاته وبالتالي يعكس وجوده.

تابع الفنان عبد الغني أوبلحاج دراسته الابتدائية والثانوية بمسقط رأسه، حيث نال عام 1967 شهادة البكالوريا في الشعبة الأدبية. بعد ذلك بسنتين، أي في عام 1969، حصل على دبلوم المدرسة العليا للأساتذة بالرباط. وفي عام 1982 نال دبلوم الدراسات المعمقة في الفنون التشكيلية بجامعة السوربون الباريسية وبعد ذلك بأكثر من 12 سنة من العمل الجاد والبحث النظري والتحليلي في موضوع: "المساجد والمآثر العمرانية بمراسن منذ عهد المرابطيين إلى يومنا هذا"، استطاع الأستاذ والفنان عبد الغني أوبلحاج الحصول على الدكتوراه -أي عام 1994- في الفنون التشكيلية بنفس الجامعة..

أ - الاشتغال على التنويع : يتميز التعبير التشكيلي عند الفنان

## تداعيات

### بيروت احتشمي

منهل السراج \*

■ باغت أمي تتأمل من وراء نظارتها في صورة لها مع أبي. تبدو في غاية السعادة تلوذ بكفته وزراعه التي أحاطت خصرها.

قالت:

- كان علي أن أمزقها مظلماً ففعلت بغيرها.

- لماذا؟

- الله يعفني عنا.

معتف أمي في الصورة سماوي اللون، مشمور الكمين، وعلى رأسها إيشارب خفيف يكشف عن غرة شقراء وبقية شعرها تطل من تحت هذا الغطاء الخفيف. عينها تضحك بحرية. مكتوب على قفا الصورة تشرين 1949، بيروت. قالت دون أن أسأله: كنت جهلانة.

كانت الصورة للعروسين في بيروت.

وظلت رحلة بيروت هدية أبي لأي كل عام.

في كل صيف كانت لنا زيارة لبيروت. أرثدي ثوبي الحموي السموك البني، ذي الجيوب والثنيات الكثيرة والمكوي بدقة. جوارب بلون البيج تصل حتى الركبتين، كي لا يظهر أي مساحة من اللحم، وحقاءً بنياً مغلقاً رغم الحر.. تأتي السيارة في السادسة صباحاً.

صممت مطبق طوال الطريق. عند الحدود السورية، ننتظر الخلاص بحذر. ونحن يدير السائق محرك السيارة؛ خلصنا. نعرف أننا نجونا. مم نجونا؟ لا أحد يستطيع الإجابة. وما هو ذنبنا؟ لا أحد يستطيع الإجابة. كنت حين أسأل أبي عن سبب اصفرار الوجوه لا يجيب. وأحياناً أسمعه يقول لأمي: أخاف أن يتيولنا.

الآن تجاوزنا الحدود السورية. تقول أمي وهي ترخي غطاء رأسها: فرح قلبي. كان الزمن يدوخ، والوجوه تنتهد، ما أن يظهر بحر بيروت. يدير السائق المسجلة. يفتح أبي قبة قميصه قليلاً مرخياً رباطه عنقه. ويبدأ حوار بينه وبين السائق ولا مانع أن تشاركهما أمي أيضاً. حربية وصغف ونشوة غامضة. ونحن ندخل أو تيلنا المعتاد في الحمرا، كان أبي يضحك مع موظف الاستقبال ويداعب المسؤولة عن تنظيف الغرف، قائلاً:

- يا لينا إنت ست الكل.

وأمي يتسجم بتسامح. فكتت أفرح وأهرع إلى نافذة الغرفة. كي أطل على السوق. محلات الفاكهة وأناقيتها، رواد المقاهي وفتراتهم، وكنت أجعل من قهقهاتهم العالية، يأتيني صوت نصري شمس الدين وديكة الميجنا ويتراءى لي دلع بنات دبكة لبنان وقامات شباهيا. وفيما أراقب كنت أرمي من قدمي حذائي وأسحب جواربي الطويلة وألغع ثوبي السميك، متباهية أمام النافذة بأن كنتي أنا أيضاً عارياً. تفتح أمي الحقيبة، فأتناول الثوب الأزرق الرفيق ذا التنتنة، والذي كنت أسميه: ثوب بيروت. لبيروت أثواب غير أثواب حماء. هكذا اعتدنا. بيروت تعني لي ثوباً قصيراً متحرر الركبتين، أرثديه في كل فقرة تفرح ركبتاي وقدماي.

أغمس الخبز في اللبنه وأقول:

- ماما لبنه بيروت أطيب من لبنه حماء. تضحك أمي موافقة. وزعت بيروت أطيب وكمان المكروس والجبنة. إلى أن اكتشفت متأخرة أن عدة الفطور كانت أمي تحضرها معنا من حماء. أتمشي على الشاطئ وأبتهج بأبي للمتحررين لأن ذراعيهما متشابكتان، وكم تعبت لي يوفلان هذا في حماء شديدة الرصانة. في الليل أراقب الفتيات الصغيرات بعمر، يظفن خراطوم الأركيلة من أمهاتهن كي يشاركن جلسة المساء وأنا في الغرفة، لا تعنيني أصوات المتفجرات التي بدأت حينها، لأن دفء التلصص على هذه الحياة أقوى بكثير من أي صوت خارجي وهذه الغبطة تقدر أن توفر أمني.

بيروت حبة الشوكولا، الشط الذي يذوب، والهواء السكران. إلى متى تظنين هكذا؟ يلزمك ثوب من الجوخ السميك ومندبل أسود وغطى وجهك وحسنتك، وكفاك مغريات، فقد بلغت في حيك للحياة الدنيا. وافقي على الزواج، طلاب الزواج كثر وكلهم يريدونك محببة، وافقي، ألم تهلكي؟

غداً يغادرونك بعد أن يتأكدوا أنك هلكت من الموت والخراب. نعم ستبدين بعينهم الشرمه أنك تحضرين. ولكن ما أن ينشغلوا بأمور أخرى حتى ترجعين لعاداتك المضرة، ترددين ثياباً شغافة وتنتجرتين، شمس قريبة وخافتة وشط ذائب، ولون سماء قريب وحنون، غيش أبيض طيب، وما أن يأتيك زائر حتى تمدين ذراعيك، تلافيفه بغطاء حنون وتضمينه كأنه عشيقك الوحيد، تهددينه وتلافيفه حتى يتعلق بك، ومن بعدها كيف يقبل أن يتخلى عنك بعد ما أغرتيه بكل هذه الحسنات؟

السلايف والضراير أصابتهن الغيرة، وضعن الغطاء منذ زمان وأنت ما زلت اللذلة، ارمي غطاء عليك وكفى. إذا نويت، لدينا منه الكثير لتلقي مني هذا، واعلمي بنصحتي، وقتها فقط ستجني من اعتداءاتهم عليك.

-----  
\* كاتبة سورية

### يُنشدها طويلاً، من تلقاء نفسها

عبد اللطيف الوراري \*

لم، بعدُ، لمحي خيالاً

على درج اللئيل

وقت الغناء

أوراي ودائع عيشي

بين اغترابين

بيشي وبيتك

كم شرقة تتوعدني العمر

في شهقة الورد

ما لم تجعل بني العبور إلى شجر

الصلبة.. وغيرها..

هو هكذا الماء في لوحات الفنان أوبلحاج..

-----

\* ناقد تشكيلي من المغرب.



محمد مخلوف يتسلم الجائزة (القدس العربي)

## فيلم «القصص» للمخرج الليبي محمد مخلوف يفوز بجائزة مصرية ويعرض في «الجزويت»

القاهرة - «القدس العربي»:

(يوليو) الجاري، الساعة مساءً. كما سيرعرض أيضاً لنفس المخرج فيلم «في ظل الشجرة» (35 دقيقة)، والدعوة عامة.

#### «القصص»

الحياة، صور، والمنفى أصوات رجعتها ذاكرة الصداقات والعزلات والبيعاد عن أرض ووطن وأناس شكّلوا تاريخ مخرج سينمائي، أراد أن يصوغها ثانية من دون حوارات.

«قصص»، هو آلة تسجيل هاتفية تجمعت على شريطها حيوات امتدت على مدى 30 عاماً من قشامة المنافي اختزلها في 13 دقيقة بالأبيض والأسود.

أهو زمن درامي تسجيلي مختصر، أم أن صيرورة الذاكرة أكثر ثقلاً والمأ من وحشة الطريق؟ ليبيا - 13 دقيقة - 2005

فاز فيلم «القصص» للمخرج الليبي محمد مخلوف بجائزة لجنة التحكيم (الفضية) في مهرجان الساقية الثاني للأفلام التسجيلية لعام 2006. تكونت لجنة التحكيم التي منحت لمخلوف الجائزة من المخرج محمد كامل القليوبي رئيساً، وبعضوية المصور السينمائي د. رمسيس مرزوق وفنان الديكور د. صلاح مرعي والنجم والمخرج كريم جمال الدين. وتسلم المخرج محمد مخلوف جائزته في احتفالية وسط حفارة وقدر كبير من الحميمية والتقدير لعرق التجربة الإنسانية الغريفة بشريطه السينمائي الثاني.

وسوف يعرض فيلم «القصص» (13 دقيقة) في: جزويت 15، شارع المهرازي الفجالة، خلف مدرسة العاطلة المقدسة، ومسسين، وذلك يوم السبت 29 تموز